مع عصابات هو شن الحرب ضدها والسعي الدائم الى تفتيتها، أو القضاء عليها، او، على الاقل، تجميد تأثيرها وتحجيمه. وكان هذا ما فعلته اسرائيل مع المقاومة الفلسطينية، وذلك بانتهاج سياسة شن حرب دائمة ومستمرة ضدها، لا هوادة فيها. وعلى الرغم من ان اهداف هذه الحرب المستمرة وسياسة الرفض الاسرائيلي الكامن وراءها والمحرك لها كانت واضحة للغاية، بعد فترة قصيرة من بدئها، فان المقاومة الفلسطينية لم تطور، رداً على ذلك، سياسة كفاح وقتال نشطة يمكن ان تؤدي الى حمل العدو على الخوف منها، ومن ثم احترامها وأخذها بالحسبان. ونتيجة لذلك، ازداد، تدريجياً، استخفاف الاسرائيليين بالمقاومة وازدرائهم لها، بل ولكل ما تمثله، ليتحول، أخيراً، الى رفض حقيقي لها.

ولا حاجة الى التأكيد ان هذا الرفض واسع وعميق؛ اذ يكاد المرء يلمسه في كل تصرفات اصحاب القرار في اسرائيل، ويراه كل يوم في قرائن متعددة ومتتالية. فعلى سبيل المثال، منذ نحو عقد من الزمن على الاقل، لم تترك الانظمة العربية المختلفة، وان اختلفت لهجاتها، ومعها «النظام» الفلسطيني، وان اختلفت نبرته، مجالاً للشك، حول استعدادها للتوصل الى «تسوية سلمية» للصراع العربي ـ الصهيوني، وايجاد «حل عادل» للقضية الفلسطينية. وهنالك ما يكفي من الدلائل على «مصداقية» هذا الموقف العربي. ولكن ذلك كله، فيما يتعلق باسرائيل، كان دون فائدة. فعندما اقترب هذا المسار من نهايته ووصل الموسى الى اللحية أوضحت اسرائيل انها غير «مقتنعة» وليست معنية باقتراحات العرب السلمية. وفي ما يتعلق بالفلسطينيين، أوضحت انها لا تعترف بهم كشعب، ولا بحقوقهم، وخاصة ليس بحقهم في تقرير مصيرهم، وهي لا تريد اعترافاً بها منهم، ولا من ممثلهم الشرعي الوحيد. ويبدو لنا ان هذا الموقف الرافض حقيقي وعميق وجدي للغاية، لن ينفع فيه «مؤتمر دولي» ولا حذلقة، من هنا أو من هنالك. وفي هذا الصدد، تبدو واقعة اغتيال «أبو جهاد» مؤشراً خطيراً للغاية. فهي رسالة أخرى، واضحة تماماً، مفادها ان ليس لدى اسرائيل «كبير»، وأنها لا تخاف المقاومة الفلسطينية، ولا تحسب لها حسابات كثيرة، وهي لا تنوي الاعتراف بها، أو التعامل معها.

وليس في هذا، بالطبع، ما يساعد الفلسطينيين في الحصول على أي من حقوقهم.

*

* *

ليس من الممكن، بالطبع، اعادة عقارب الساعة الى وراء، والغاء ما حدث من وقائع، وما ترتب عليها من مواقف اسرائيلية تجاه الفلسطينيين وامانيهم الوطنية، كان أخرها اغتيال القائد «أبو جهاد». وليس، هنا، المجال لأجراء حساب مع الماضي وهفواته ونواقصه واخطائه.

ولكن هنالك ما يمكن تعلمه من الاخطاء تلك، وحتى لا تتكرر على الاقل، وتحصر الاضرار التي قد تنجم عنها. فالصراع الفلسطيني ـ الصهيوني مستمر؛ لم يصل الى نهايته بعد؛ ولا يبدو انه سيصل اليها خلال وقت قصير. وما فات تنفيذه في الماضي يمكن، ربما، تلافيه في المستقبل.

ان تطاول الارهابيين الصهيونيين على القيادات الفلسطينية، وان جاء، الى حد بعيد، نتيجة لتواني تلك القيادات عن توجيه الردود الحاسمة والرادعة على الاستفزازات الصهيونية المتكررة،